

نعمة وسلام لكم من الله أبينا والرب يسوع المسيح ومرحبا بكم إخوتي في الاستماع لعظة اليوم وهي من
ترنيمة القديسة مريم أم ربنا يسوع كما جاتنا في إنجيل لوقا الفصل 1 والآيات 46 الى 55. اليكم قراءتها
باسم ربنا يسوع المسيح. فقالت مريم:

تُعْظِمُ نَفْسِي الرَّبَّ وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخْلِصِي لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ اتِّضَاعَ أُمَّتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الْآنَ جَمِيعُ الْأَجْيَالِ
تُطَوِّبُنِي لِأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ وَأَسْمُهُ قُدُّوسٌ وَرَحْمَتُهُ إِلَيَّ جِيلِ الْأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ. صَنَعَ قُوَّةً
بِذِرَاعِهِ. شَنَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ. أَنْزَلَ الْمُقْتَدِرِينَ عَنِ الْكُرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَضَعِينَ. أَشْبَعَ الْجِيَاعَ حَيْرَاتٍ
وَصَرَفَ الْأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ. عَصَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ لِيَذْكَرَ رَحْمَةً كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا لِإِبْرَاهِيمَ وَنَسَلِهِ إِلَى الْأَبَدِ.

هذا نشيد القديسة مريم

كلمات القديسة مريم صادرة من قلبها الطاهر المتواضع. الله أنعم عليها وبشرها بالملاك جبرائيل المرسل
من السماء أنها ستحبل من الروح القدس وتلد ابنا وتسميه يسوع وقال لها أن القدوس المولود منها يدعى
ابن الله العلي. وقبلما بشرها الملاك بهذا الخبر العظيم، بشر رجل كان كاهن اسمه زكريا وزوجته إسمها
أليصابات كانت عاقر ومتقدمة في سن مثل زكريا زوجها. فأخبره الملاك أن زوجته ستحبل في شيخوختها
وتلد له ابنا وهو يسميه يوحنا. فهو المعمدان. ثم يقول الانجيل: وفي شهرها السادس، أي لأليصابات،
أرسل الملاك جبرائيل من قبل الله إلى مدينة بالجيل اسمها الناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه
يوسف من بيت داود واسم العذراء مريم.

فَدَخَلَ الْمَلَائِكُ وَقَالَ لَهَا: سَلَامٌ أَيُّهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا، الرَّبُّ مَعَكَ، مُبَارَكَةٌ أَنْتِ بَيْنَ النِّسَاءِ. فَاضْطَرَبَتْ لِكَلَامِ
الْمَلَائِكِ وَسَاءَلَتْ نَفْسَهَا: مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ؟ فَقَالَ لَهَا الْمَلَائِكُ: لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، فَإِنَّكَ قَدْ نَلِيتِ
نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ، وَهَا أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ، إِنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى... هَذَا
خبر غريب وعجيب. فقالت مريم للملاك: كيف يحدث هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟ فأجابها الملاك: الروح
القدس يحل عليك وقدرة العلي تظلك لذلك أيضاً فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله. ثم أخبرها أن
نسيبها أليصابات أيضاً قد حبلت بابن في سنّها المتقدّمة وهذا هو الشهر السادس لتلك التي كانت تدعى
عاقراً. وقال الملاك جبرائيل الواقف أمام الله: فليس لدى الله وعد يستحيل عليه إتمامه. فقالت مريم: ها أنا
عبدة الرب، ليكن لي كما تقول. ثم انصرف الملاك من عندها. هذه هي البشارة بميلاد يسوع.

حَدَّثَ هَذَا كُلَّهُ لِيَتِمَّ مَا قَالَهُ الرَّبُّ بِلِسَانِ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: هَا إِنَّ الْعُذْرَاءَ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَيُدْعَى عِمَّاثُوئِيلَ، أَيِ
الله معنا. هو يسوع ويسوع معناه: الله مخلص. الله المخلص معنا. هكذا عمل الله ليكمل خطته التي سبق

وأعلنها بأنبيائه القديسين. فإن الله كان قد عيّن المسيح لهذا الغرض قبل تأسيس العالم. ولكن لما جاء تمام الزمان أرسل الله ابنه وقد ولد من امرأة وكان خاضعاً للشريعة ليحرّر بالفداء أولئك الخاضعين للشريعة. الله وجد مريم الطاهرة متواضعة طائعة مستعدة لعمل إرادة الله فقالت: ها أنا عبدة الرب، ليكن لي كما تقول. ثم رفعت هذا التسبيح مجدت لله وأعلنت قدرته وعدله ورحمته وأمانته وحنانه وذكر شعبه وتحقيق وعده لإبراهيم ونسله للبركة لجميع الشعوب إلى الأبد.

ونحن نستمع الى كلمات القديسة مريم بصمت وإخلاص وإعجاب لأن كل كلامه في نشيدها هي كلمة نبوية فتأمل ونعظم أعمال الله ايضا. مريم تكلمت كما تكلم أنبياء الله القديسين في العهد القديم مثلا الملك داود اللي سبح الله في زموره الرابع والثلاثون يقول: أبارك الرب في كل حين. تسبيحه دائماً في فمي. تفتخر نفسي بالرب فيسمعني الودعاء ويفرحون. مجدوا الرب معي ولنعظم اسمه معاً. جميع المؤمنين الى اليوم نالوا بركات ونعم من رجال ونساء الله القديسين ومنهم مريم أم ربنا يسوع لانه كلامهم كان من الله وكلام الرب ثابت لا يتغير وهو يتحقق في حينه.

مريم نطقت بكلمات قوية: شنت المستكبرين بفكر قلوبهم. أنزل المقتردين عن الكراسي ورفع المتضعين. أشبع الجوع خيرات وصرف الأغنياء فارغين. هذه أفعال شديدة: شنت. أنزل. رفع. أشبع. صرف. ونحن نعيش في هذا العالم الشرير والخطير حيث الأقوياء هم الذين يسودونه والاعنياء يزدادون ثروات والضعفاء مستمرين في العنف. والمساكين ينظرون ويعانون. وكثيرون يقولون: أين هو الله ولماذا ما يعمل شي؟ ماذا صنع الله؟ شنت المستكبرين بفكر قلوبهم. الأشرار هم المسيطرون، إلا أن حكم الله قد صدر عليهم كما تنبأ به أيضا النبي يوحنا المعمدان سنين من بعد مريم فقال: الآن قد وضعت النفس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار.

في كل مكان يتغير القادة، بعضهم يسقطون عنفا وآخرون يتمسكون بالحكم بالقوة طول حياتهم. ولا يمكننا أن نتق في كلامهم ووعودهم لانهم يوعدون بالسلام والحرية وهم مسيطرون على الناس. فإذا كان العالم خاضع لوقت محدود للشيطان عدو الله والحياة إلا أن الرب يسوع أيضا أعلن حكمه الإلهي عليه وعلى العالم فقال: الآن وقت الحكم على هذا العالم الآن يطرد سيد هذا العالم خارجا. سيد هذا العالم قد صدر عليه حكم الدينونة. زمانه محدود. وكلمة الله تتحقق في ميعادها وتشرع الى نهايتها. فلا بد أن تتحقق ولن تتأخر طويلاً. كما قال التلميذ والرسول بطرس أيضا: فالرب إذن لا يبطيء في إتمام وعده كما يظن بعض الناس، ولكنه يتأني عليك، فهو لا يريد لأحد من الناس أن يهلك، بل يريد لجميع الناس أن يرجعوا إليه تائبين، إلا أن يوم الرب سيأتي كما يأتي اللص في الليل.

الله أظهر نعمته في مريم العذراء وهي لم تكن بنت كاهن ولا بنت عالم ولا شيخ ولا قائد. إنما فتات طاهرة مخطوبة لرجل اسمه يوسف فأنعم عليها الرب ليظهر رحمته لشعبه إسرائيل ولنا جميعا. مريم وضعت حياتها لتخدم الله وتعمل إرادته وعظمت الرب وأبتهجت بخلصه. والخلص كان موضوع بشارة الأنبياء القديسين منذ القديم الى أن حققه الله الان في وقته. منذ القديم الله عرف نفسه كالمخلص وإله الخلاص. نشد الملك داود مثلا في مزموره 69 يقول: اسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ لَأَنَّ رَحْمَتَكَ صَالِحَةٌ. ككَثْرَةِ مَرَاجِمِكَ انْتَفَيْتْ إِلَيَّ وَلَا تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنْ عَبْدِكَ لِأَنَّ لِي ضَيْقًا، اسْتَجِبْ لِي سَرِيعًا اقْتَرِبْ إِلَيَّ نَفْسِي، فَكَمَا بِسَبَبِ أَعْدَائِي، أَفْدِنِي. الله ما ينسى وعوده أبدا. حتى لما يسمح أن أتقياهه يكونوا في المحن ويسقطوا في أدنى مستوياتهم في حياتهم فمن هناك الله يرفعهم ويكرمهم.

نشيد مريم يذكرنا بنشيد حنة أم النبي صموئيل في العهد القديم، ألف سنة قبل الميلاد. كانت حنة عاقرة ولكن الله سمع صلاتها وباركها بصموئيل. وهي أيضا نشدت قائلة: ابْتَهَجْ قَلْبِي بِالرَّبِّ وَسَمَّتْ عَزَّتِي بِهِ، أَفْتَحِرْ عَلَى أَعْدَائِي لِأَنِّي فَرِحْتُ بِخَلَاصِكَ، إِذْ لَيْسَ قُدُوسٌ نَظِيرَ الرَّبِّ وَلَا يُوجَدُ مَنْ يُمَاتِلُكَ وَلَيْسَ صَخْرَةٌ كَالِهِنَا. هذه كلمات حنة أم النبي صموئيل. الله أنعم علينا بمعرفة ابنه الوحيد لخلص أكيد. وأدخلنا في وعوده بيسوع مخلصنا الحبيب. فَلْيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِهِ جَمِيعُ طَالِبِيهِ. لِيَقُلْ أَبَدًا مُجِبُّو خَلَاصِ اللَّهِ: يَتَعَظَّمُ الرَّبُّ. أَمَا أَنَا فَمَسْكِينٌ وَبَائِسٌ. الرَّبُّ يَهْنَمُ بِي. عَوْنِي وَمُنْفِذِي أَنْتَ. يَا إِلَهِي لَا تُبْطِئْ. (مزموره 40).

مريم سمعت خبر الله وواضعت نفسها بكامل الوعي في خدمة الرب فقالت: ها أنا عبدة الرب، ليكون لي كما تقول. مريم سمعت وآمنت وبفضل نعمة الله أصبحت أكثر النساء كرامة. وعبرت عن إبتهاجها في الله المخلص. وهي حامل بابن الله الذي جاء ليخلص شعبه وكل الذين يؤمنون بإسمه من خطاياهم. الله ما ينسى وعوده. فهو يحققه في وقته. مريم عظمت الله مخلصها في محضر نسيبتها أليصابات التي كانت في شهره السادس حامل بيوحنا من زوجها زكريا، يقول الكتاب أن لَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلَامَ مَرْيَمَ، امْتَلَأَتْ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَهَنَفَتْ بِصَوْتٍ عَالٍ قَائِلَةً: مُبَارَكَةٌ أَنْتِ بَيْنَ النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ ثَمَرَةٌ بَطْنِكَ، فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِي إِلَيَّ أُمُّ رَبِّي؟ فَإِنَّهُ مَا إِنْ وَقَعَ صَوْتُ سَلَامِكَ فِي أُذُنِي حَتَّى قَفَرَ الْجَنِينُ ابْتِهَاجًا فِي بَطْنِي، فَطُوبَى لِلَّتِي آمَنْتُ أَنَّهُ سَيِّئٌ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ. وكانت أليصابات أول من طوبت مريم.

ونحن أيضا نطوبها ونرفع الحمد لله الذي خَلَصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً لَا بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقُدْرِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الْأَرْمَنَةِ الْأَزَلِيَّةِ وَأُظْهِرَتْ الْآنَ بِظُهُورِ مُخْلِصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي سَقَى الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِالْإِنْجِيلِ. وإيماننا يزداد قوة بيسوع المسيح الذي أحبنا وهو حي الذي اشترك أيضا في اللحم والدم باتخاذه جسما بشريا وهكذا تمكّن أن يموت ليقتضي على من له سلطة الموت أي إبليس ويحرر من كان الخوف من الموت يستعبد لهم طوال حياتهم. نعم كانت غايته أن يُنْقِذَ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ. لا الملائكة. حكم الله على الأشرار أعلن فلا مفر منه. كما أن خلاصنا أكيد ونحن ما

زلنا في هذا الجسد نعاني من الامراض والخوف وخيبة الأمل واليأس والغضب بسبب الباطل المنتشر حولنا وفي العالم، ولكننا نعرف أن حياتنا هي في يد يسوع المنتصر الحي.

الرب يسوع هو وعدنا بوعده ثابت يقول: الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلْتَنِي تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ وَلَا يُحَاكَمُ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ لِأَنَّهُ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ. يوم الرب جاي لا مفر منه. الودعاء يسمعون وَيَفْرَحُونَ وَيَعْظُمُونَ الرَّبَّ. نشيد مريم هو مرتبط بإعلان ميلاد يسوع وبعيد الفصح الذي فيه صلب ابن الله ليخلصنا من سلطان الظلام وينقلنا الى ملكوت نوره العجيب. من الروح القدس مريم فهمت هذه الحقيقة واستقبلت المسؤولية من الله بتواضع وفرح. لهذا جميع الأجيال في كل زمان تطوبها وتكرمها من أجل طاعتها لانها حملت ابن الله في بطنها الطاهر.

والجنين اللي وضعه الروح القدس في بطن مريم الطاهرة هو كان عند الأب قبل أن يتجسد وهو اللي قال لنا: يغفر سلاما أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. فلا تضطرب قلوبكم ولا ترتعب. نعم. ونقول مع مريم: تَعْظُمُ نَفْسِي الرَّبِّ وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخْلِصِي. آمِينَ. ونعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس معكم كل يوم. آمين.